العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18 – Ang 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

التطرف الديني العنيف (دراسة حالة لاحد اتباع جماعة اليماني)

م. د عقيل حبيب عبيد

مديرية تربية الديوانية/ الإرشاد التربوي

altataruf lildiyana (dirasat halat lahid atibae jamaeat alyamani)

M.D Aqeel Habeib Obeid

Dieaniyah Education Directorate/Educational Guidnce

المستخلص

رفد التغيير الذي حدث في العراق عام ٢٠٠٣ ظاهرة التطرف الديني Religious Extremism بمصادر حياة جديدة بعثت فيها مزيدا من القوة والعنف. كذلك جعلت العولمة Globalization التي رافقت هذا التغيير التطرف الديني اكثر انتشارا بما تملكه هذه الأخيرة من وسائل اعلام فضائية والكترونية، وهذا ما نلاحظه بسهولة في الحركات المتطرفة دينيا التي امتلأت بها الساحة العراقية. فكانت نتيجة ذلك ان تحولت الافكار الى ايديولوجيات، والجماعات الى تيارات انبثقت عنها حركات وتنظيمات. واحدة من تلك التيارات التي برزت الى السطح هو تيار المهدوية Mehdeism، وهي مجموعة من الحركات التي اتخذت من الإيمان بعقيدة ظهور المخلص (المهدي) في آخر الزمان منطلقا فكريا وايديولوجيا وتنظيميا، وباسم هذه العقيدة استطاعت ان تجند الاتباع وتنظمهم وتسلحهم، وقد خاضت اغلب تلك الحركات صراعا ضد المؤسسات الاجتماعية والدينية التي تخالفها في الرأي والمعتقد، خاصة في محافظات وسط وجنوب العراق.

والحركة اليمانية واحدة من أهم تلك الحركات واكثرها نشاطا، فهي على المستوى الفكري تولد عنها حركات وجماعات جديدة، وتنظيميا خاضت قتالا ضد القوات الأمنية كما وتركت تراثا كبيرا من الافكار الهدامة. وبعد الاطلاع على جزء مهم من أدبيات هذه الحركة، واعتماد أداة الملاحظة Observation بنوعيها المباشرة وغير المباشرة، والالتقاء بأكثر من شخص تابع لها، تم الاتصال بأحد الاتباع وعمل مقابلة شخصية Personal interview ثم تطبيق اختبار تفهم الموضوع TAT.

الكلمات المفتاحية: التطرف الديني العنيف- تيار المهدوية.

Summary.

The change that took place in Iraq in 2003 supplemented the phenomenon of religious extremism with a new source of life, which sent more power and violence, as well as made the ideological globalization that accompanied this change in religious extremism more widespread with what the latter owns with its satellite and electronic media.This is what we easily notice in the religiously extremist movements that have filled the Iraqi arena.As a result, ideas turned into ideologies .And groups into currents, from which movements and movements

emerged.One of those affiliations that has come to the surface is the Mahdist current, A group of movements that have taken the belief in the doctrine of the appearance of the Savior(Mahdi) in the end times as an intellectual, ideological and organizational starting point .In the name of this faith, she was able to recruit followers, organize and arm them.Most of these movements have waged a struggle against social and religious institutions in which they disagree with opinion and belief, especially in the provinces of Central and southern Iraq.

The Yemeni movement is one of the most important and most active of these movements, it is at the intellectual level that new movements and groups are generated out of it, so it has fought against the security forces and left a large legacy of subversive ideas.After reviewing an important part of the ideas of this movement, adopting an observation tool of both direct and indirect types, meeting with more than one person affiliated with it, then contacting one of the followers of the movement and doing a personal interview, then applying thematic apperception test.

المبحث الأول

اولا: المقدمة

كثيرا ما حاول علم النفس الاجابة عن سؤال التطرف بكل انواعه، والاسباب التي تجعل الافراد متطرفين، ولكنه لم يولي مثل الاهتمام للإجابة عن اسباب الانضمام الى الحركات المتطرفة، مع العلم ان الفارق بينهما كبير كما اثبتت الدراسات والابحاث ان هناك فارق بين التطرف الفردي وتطرف الفرد بعد انتماءه لجماعة ما. ووفقا لهذا الفهم يمكن صياغة السؤال هكذا: ما هي الآليات التي تعتمدها الحركات الدينية المتطرفة ومنها الحركات المهدوية إزاء الأفراد من أجل ان ينضموا اليها أو المنظمين اليها؟ وهذا يتطلب فهم البناء النفسي للجماعة المهدوية، فهي وإن اكتفت في البداية بالاهتمام بالفرد وتلبية احتياجاته النفسية، إلا انها تفرض عليه قواعد صارمة لأنه بعد الانخراط في الجماعة وتعرفه عليها من الداخل وكشف اسرارها اصبح الموضوع يتعلق بأمن الجماعة كلها، وعدم التزامه بتلك الواعد يعرض الجماعة للخطر الخارجي خاصة من قبل رجال الأمن. لهذا تحرص الجماعة على تشويه الواقع في عين هذا العضو بواسطة عمليات طويلة من غسيل الدماغ أو التحكم بالعقول، وادخاله في دوامة الشعور بالتآمر عليه، وان هناك من يراقبه ويلاحقه ويريد الحاق الأذى به دائما. كما وتترك تلك الجماعات التي تؤمن بنهاية العالم وحلول الغضب الإلهي المتمثل بالكوارث المدمرة شعورا كبيرا بالخوف والرعب لدى اتباعها، إذا ما فكروا بالانفصال. الجماعة تستغل حاجة الفرد النفسية مثل الحاجة الى الشعور بالانتماء أو الحاجة الى المعنى، وقد يعاني من احد الاضطرابات النفسية والعقلية او من اضطرابات التكيف Adjustment Disorders، فتستحيل الجماعة ملجئه الوحيد، ليتم بعدها استغلال حاجته النفسية هذه والتخلص من شعوره بالذنب أو شعوره بالقلق أو التوتر او الاكتئاب او الوحدة، اما اذا كان يعاني من عدم رضا عن ذاته أو خلل في هويته (فقدان الهوية، أو هوية معلقة) فستمنحه الجماعة هوية، كما تمنح حياته المعنى. كل ذلك يجعله جاهزا لتكليفه بالمهام (معتقدا

انها مهام إلهية او كونية) التي يظن انه اختارها بمحض إرادته او بكامل صحته النفسية. ويشير تود جراندي الى ان تلك الجماعات تمتاز بسبعة سمات اساسية، هي:

١: بناء هرمي قائم على التسلط والتلاعب والخداع.

٢: اعتماد قوي على آليات التحكم بالعقول.

٣: تستهدف تلك الجماعات الطبقة المتوسطة من الأفراد.

٤: تتمحور دعايتها على تحقيق المساواة وحقوق الاقليات والمضطهدين والرافضين أو المتمردين على مجتمعاتهم.

٥: لا تتوانى عن استخدام اساليب عنيفة لإقناع الاخرين بالانضمام.

٦: تتبنى نظاما تسلطيا صارما مع الاعضاء.

٧: تقدم لأعضائها نظام حياة جديدة أو فلسفة تقوم على المبادئ والقيم.

يعزي المؤرخ كامل مصطفى الشيبي ظهور التيار المهدوي في المجتمع الاسلامي المبكر الى ما اصاب ذلك المجتمع من فساد دفع فئة من المسلمين ان يعتزلوا وينزووا متعلقين بالأمل واتجهوا بأرواحهم الى فكرة الإصلاح عن طريق خارق أو سماوي يأخذ بالثأر ويعيد الأمور الى نصابها (الشيبي، ٢٠١١: ١٠٠-١١٥) وبعد ذلك استفاد العباسيون من عقيدة المهدوية هذه بعد انتقلت من ابن الحنفية الى ابنه ابي هاشم، حيث دخل في حلف تنظيمي مع العباسيين تكلل بإسقاط الدولة الأموية وتولي حكم الدولة الاسلامية، وبهذا يكون أول وأهم نجاح لتطبيق فكرة المهدوية في التاريخ الاسلامي.

ولا ينفرد الاسلام لوحده بمثل هذه الافكار والعقائد فهي شائعة جدا في اغلب الاديان كاليهودية والمسيحية تحت أسماء من قبيل: عودة المسيح أو المسيا، وعقيدة الألفية. فاليهود يعتقدون بعودة المسيح المخلص، ومع اقتراب كل ألفية يدعي كثير من اليهود انه المسيح المخلص ذي المواصفات البطولية الخارقة. أما الفهم المسيحي لمثل هذه العقيدة فيدور حول ما يسمى القدوم الثاني للمسيح الذي يقيم (مملكة الرب) على الأرض وينشر السلام بين الشعوب. ويمتاز هذا التصور الألفي المسيحي بزيادة النشاط التبشيري بين اليهود خاصة (حسن، ١٩٩٦: ١٢- ١٣). وتعد (الجماعة الانجيلية) اكثر الجماعات قربا من عقيدة نهاية العالم. واذا نظرنا الى معتقداتها وافكارها نجد انها تقترب كثيرا من عقائد الجماعات المهدوية، فهي تؤمن ايضا بان يوم القيامة على وشك الحدوث (نهاية الأيام)، وتؤمن بقيام حرب عالمية، وحدوث كوارث طبيعية كالزلازل، وبالإبادة، والنصر الاعجازي، ونزول المسيح المخلص من السماء، وظهور المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، وقيام دولة المسيح أو مملكة الرب.

لا يختلف اثنان على ادانة التطرف الديني، فالتاريخ يكشف لنا ما تسببه من تدمير بلدان وشعوب، اما آثاره النفسية والاجتماعية فكثيرة نذكر منها: زيادة حدة الكراهية، وزيادة مستوى الفساد السياسي، وصعوبة التعبير عن الرأي. كما نجم عن التطرف الديني والمذهبي زيادة مستوى النفوذ السياسي للعشيرة، وخفض مستوى تأثير النخبة المثقفة في المجتمع، وكذلك ترتب عنه تعرض الفئات الاجتماعية الى التهجير القسري، وزيادة معدلات التعرض للصدمات (حسن، ٢٠٢٤: ١١٨).

يعرف علماء الاجتماع الحركة الاجتماعية بانها نشاطات تهدف للدفاع عن مبدأ او معتقد أو من اجل الوصول الى هدف ما، يقوم بها اشخاص يمثلون جمهورا ما ضد اصحاب السلطة في إطار مطالبتهم في ادخال تعديلا على توزيع الثروات أو ممارسة السلطة. وهذا يجعل من الحركة الاجتماعية تتضمن اتجاها عاما للتغيير، حيث يقوم مجموعة من البشر يؤمنون بعقيدة أو افكار مشتركة يحاولون تحقيق اهدافهم. كما يمكن تعريف الحركة الاجتماعية ايضا بانها محاولة التدخل قصديا في عملية احداث التغيير الاجتماعي، يقوم به مجموعة من الافراد يمكن ادراجهم في انشطة محددة وخطاب واحد أو متشابه. فمفهوم الحركة الاجتماعية إذن يشترط القوة الاجتماعية، والقدرة على التأثير واحداث التغيير (تشارلز تيلي، ٢٠٠٥: ١٥ . كذلك درويش، ٢٠٠٤). ووفقا لهذا التعريف يمكن التعرف على الحركات المهدوية التي ظهرت في العراق بعد سقوط النظام (أولا) انها حركات اجتماعية (ثانيا) تقوم على أسس دينية تتعلق بعقيدة المهدي الاسلامية الاثني عشرية (ثالثا) تطالب بالسلطة الروحية (المؤسسة الدينية عامة، والحوزة العلمية) والسلطة السياسية (الحكومة) والحصول على ثروات البلد وتوظيفها في خدمة مشروعها الفكري والايديولوجي، لهذا تعتبر هاتين السلطتين هدفا لهجومها دائما، كما يشهد خطابها وممارستها بذلك، وكما تمتلأ أدبيات تلك الحركات.

اما الحركة المهدوية، وبما انها حركة خلاصية، فهي ترتبط بأزَمَة من نوع ما، هذه الأزمة تتجاوز قدرة الجماعة على حلّها أو مواجهتها. لهذا فتقدم الحركة الخلاصية الناجمة عن هذه الأزمة أملا في ظهور مخلّص. المخلِّص هو الذي سيحقق لها خلاصاً دنيوياً أو أخروياً بوصفه بطلاً كاريزمياً، يسعى إلى تحقيق مشروع واقعي في مقابل مشروع قائم للجماعة المهيمنة ذات الأيديولوجيا التي تبرر التعسف والعنف (الصحاف، ٢٠٠٩: ٦٥). وتمثل المهدوية سردية كبرى Grand Narrative بل من اكبر السرديات التي شغلت العراقيين بعد تغيير نظام البعث سنة ٢٠٠٣. معرفيا تنتمي المهدوية الى ما يعرف (علم الأخرويات Eschatology. وبالاعتماد على آلية التأويل واحيانا التخييل بدأ بعض الافراد والجماعات بإعادة تأويل النصوص الاخروية والاحاديث والروايات التي تدور حول الامام المهدي واسقاطها على الواقع دون ان ينتبه هؤلاء الفاعلين الدينيين الى مغالطاتهم المنطقية أو ما لحق بإدراكهم من تشوهات.

ثانيا: مشكلة البحث

منذ الايام الأولى لسقوط النظام في ٢٠٠٣ برزت على الساحة السياسية والاعلامية والأمنية في العراق حركات وتنظيمات مذهبية متطرفة انفردت بأفكارها ومعتقداتها وهددت السلم الأهلي والنسيج الاجتماعي، خاصة في منطقة وسط وجنوب العراق، وبسبب عقيدتها المتطرفة تصادمت مع قطاعات عريضة من الجمهور، ودخلت في نزاعات مسلحة مع قوات الأمن أدت الى مقتل العشرات من الطرفين عام ٢٠٠٨. لهذا ارتأى الباحث عمل دراسة تتناول هذه المشكلة من الناحية النفسية بعد ان وجد ندرة الدراسات التي تناولت هذه المشكلة.

ثالثا: اهداف البحث

هدف البحث الى التعرف على سيكولوجية من يؤمن بشكل متطرف بالعقيدة المهدوية وتحديد بعض من الخصائص النفسية لهذه الشخصية. كذلك يحاول البحث ان يصل الى هدف عام هو التعرف على العلاقة المتبادلة بين الفرد كوحدة نفسية والإيمان بعقيدة المهدوية، تأثيرا وتأثرا.

رابعا: أهمية البحث

تعد مشكلة الجماعات المتطرفة من المشاكل التي واجهت مشروع بناء الدولة العراقية ووقفت حجر عثرة امام الجهود الرامية لتقريب وجهات النظر وتوحيد الصوت الجماهيري للمكونات الدينية للمجتمع العراقي، فقد وقفت هذه الحركات بالضد من جميع تلك المكونات سواء كانت اغلبية أو أقلية، على الرغم من ان بلد كالعراق عرف بتنوعه الديني والمذهبي والعرقي، وعيش تلك المكونات ضمن الإطار الوطني. لهذا، وانطلاقا من المسؤولية الاخلاقية والوطنية والعلمية ارتأى الباحث القيام ببحث يكشف جزءا من الاسباب التي تقف وراء انخراط بعض من شبابنا في هذه الحركات، كذلك التعرف على الآليات والاساليب التي تعتمدها تلك الحركات في الكسب والتجنيد وتحويلهم الى أدوات معادية للمجتمع، وما تلعبه مشاكل الفرد النفسية وميوله وحاجاته ورغبات ومكبوتات في مثل هذا التجنيد.

ومن النقاط المهمة لهذا البحث انه يحدد استجابة حالة من حالات التطرف الديني العنيف للوحات الاكلينيكية التي تكشف بعض من خصائصه وديناميته النفسية وأهم ميكانزماته الدفاعية، كذلك يقوم البحث بعمل مقابلة شخصية لتقويم شخصية المبحوث، وكما يفيد صلاح مخيمر "ينبغي أن ننظر الى الاجابات وسلوك الشخص بحسبانها وحدة متكاملة" (٢٠٠٢: ٣٧٨).

رابعا: مصطلحات البحث: التطرف الديني العنيف

إن مفهوم التطرف Extremity من المفاهيم التي حظيت باهتمام بحثي كبير في علم النفس وعلى مختلف مدارسه ونظرياته. فهو مفهوم واسع يمتد على مساحة سيكولوجية تتداخل مع مفاهيم اخرى مهمة كالتعصب الراديكالية والارهاب وغموض الاستجابة والتصلب والتشدد. ويعرف التطرف لغة بأنه طرف الشيء أو نهايته، وعرفه ابن منظور بانه تطرف الشيء صار طرفا. اما في الانكليزية فيتداخل ومعنى الأصولية والتشدد Fundamentalism. اما اصطلاحا فقد عرفه هشام عبد الله بانه مجموعة معقدة من الآراء والمعتقدات والأفكار والمشاعر التي تبتعد عن الوسط والوسطية (٢٠١٩: ٩٨). اما التطرف العنيف فقد جاء فقد عرفته منظمة الأمم المتحدة- اليونسكو (٢٠١٨: ١٩) بأنه يشير الى معتقدات وافعال الاشخاص الذين يدعمون أو يستخدمون العنف لتحقيق غايات ايديولوجية أو دينية أو سياسية، ويشمل ذلك الارهاب وغيره من اشكال العنف الطائفي والمرتبط بدوافع سياسية. كذلك يحدد التطرف العنيف عادة عدوا او اعداء يشكلون موضوع كراهية وعنف. والاساس المفاهيمي للتطرف العنيف هو أنه لجوء الى استخدام العنف بدوافع ايديولوجية، ويقوم عادة على نظريات المؤامرة.

خامسا: الحركة اليمانية

وهي حركة دينية متطرفة نشأت بعد انهيار النظام في العراق ٢٠٠٣ بزعامة احمد اسماعيل كاطع الذي اعلن نفسه انه الامام المهدي، وتؤمن هذه الحركة بعدد من المبادئ والافكار من اهمها فكرة (حاكمية الله) والتي تعد المبدأ الاساسي في المنظومة الفكرية وحجر الزاوية في العقيدة اليمانية، ومنها يبدأ التأصيل لبقية مبادئ وافكار هذه الجماعة. كذلك يعتقد اتباع هذه الحركة بفكرة (الوصية) وهي الفكرة الرابطة بين فكرة الامامة الإلهية عند الشيعة الاثني عشرية وايديولوجية الجماعة اليمانية. كذلك يعتقدون بفكرة (البيعة لله)، و(التنصيب الإلهي)، و(خليفة الله)، وهي كلها تصورات تدور في فلك الحاكمية وتحيل الواحدة للاخرى. يسوق احمد اسماعيل بعض الافكار على انها أدلة وحجج على إمامته المهدوية الواردة في نص الوصية، وكونه (اول المهديين) المذكورين في هذا النص، ومن هذه الافكار التي يصنعها تأويليا أو تخيليا هي حجته تتلخص بما يلي: ان (مئات الرؤى التي رآها المؤمنون) تثبت زعمه الامامة، و(معرفته بالقرآن)، و(بطرق السماوات)، و(مخاطبة أهل التوراة بتوراتهم واهل الانجيل بإنجيلهم)، ويقول "الله يشهد لي ومحمد يشهد

لي، وعلي يشهد لي، وفاطمة الزهراء تشهد لي، والحسن يشهد لي، و....."، ويقول ان المعصومين الاربعة عشر جاءوا لمئات المؤمنين في عالم الرؤيا واخبروهم بإمامته المهدوية. كذلك من الأدلة ان رايته مكتوب عليها (البيعة لله). (انظر الموقع الرسمي للحركة، وقناة ظهر المهدي الفضائية. وخطاب الى الحوزة العلمية في ٩ فبراير ٢٠١٣، وخطاب الحج). ويعتقد اتباعه انه وبحسب فكرة امامة احمد اسماعيل يجب رفض أو تحريم جميع انظمة الحكم الحالية باختلاف انواعها رئاسية أو ملكية أو ديمقراطية و....الخ ويجب ان يقدم له الناس بمختلف طبقاتهم وبلدانهم ومعتقداتهم واجب الطاعة، فطاعته تعد شرطا للدين كله، لأنه الوحيد المكلف من الله بالإفتاء واصدار الأوامر وغيرها من أمور الناس في دينهم ودنياهم. ان هذا التصور للإمامة تعتقد الجماعة اليمانية انه منح بواسطة (الوصية) لزعيمهم احمد اسماعيل.

خامسا: أدوات البحث

فرضت طبيعة الجماعة المبحوثة على الباحث اعتماد عدد من الأدوات، منها ما هو عام أو جماعي وهو الملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة وهما طريقتان علميتان للوصول إلى المعلومات التي تتلاءم وطبيعة الظاهرة المدروسة. وكما هو معروف فان الملاحظة المباشرة تعني حضور الباحث الى الجماعة واللقاء بهم وملاحظتهم وهم يمارسون نشاطهم، اما الملاحظة غير المباشرة فيعتمد هذا الأسلوب على جميع المعلومات والحصول عليها من خلال مصادر أخرى كالرجوع إلى المؤلفات والمنشورات الخاصة بالحركة مع التركيز على نتاجات احمد اسماعيل مؤسس الحركة. كذلك اعتمد الباحث احد أدوات المنهج الاكلينيكي وهي دراسة الحالة التي تكونت من المقابلة واختبار TAT.

المبحث الثاني

أولا: تيار المهدوية في العراق

قبل البدء بهذا المبحث يجب الانتباه الى ان تصنيف اليمانية كحركة جاء من زاوية واحدة، ولا تمنع التصنيفات الاخرى، فهي قبل ان تكون حركة سياسية هي جماعة دينية أو طائفة Cult. لهذا يجب البحث في معتقداتها الدينية قبل السياسية، فبسبب تلك المعتقدات -على الأقل في البداية- انظم الأفراد اليها، لا بسبب مشروعها السياسي أو هيكلها التنظيمي، وهذا التقسيم جاء لأسباب نظرية وبحثية، لأنها في النهاية تشكل وحدة متكاملة عقائديا وتنظيميا وسياسيا.

تنظيميا يعتقد الافراد الذين ينتمون للتيار المهدوي بضرورة تأويل الافكار الدينية اجتماعيا وسياسيا لتتلاءم وما تعتقد به جماعاتهم من أيديولوجية، وبما ان هذه الجماعات تعتقد بان البشرية تعيش سنواتها الأخيرة وان المهدي على وشك الظهور، لهذا فهي تعيد ترتيب احداث العالم وما يقع الآن من هذه الزاوية الضيقة بالذات. لتخرج في النهاية بطرح سردية خاصة تؤلف نظاما موحدا متماسكا ونسقا معرفيا كبيرا تتوحد فيه الوقائع والاحداث المختلفة في غاية واحدة هي ظهور المهدي الخاص بها أو التمهيد لهذا الظهور، وبسبب هذه الغاية فهي سرعان ما تجنح نحو التطرف، بل وتنزلق احيانا الى الارهاب، لأنها تؤمن فقط بأحقيتها المطلقة وشمولية خطابها والدفاع عن اطروحتها حتى الموت. ومع تأسيسها لخطابها بدأت السردية المهدوية في العراق بعد ٢٠٠٣ تتخفف من ثقل النص وسلطته وتابعيتها لمدونة الحديث (وهي التي في البداية منحتها شرعية المرور الى المجتمع الاسلامي) لتؤسس لسلطتها المعرفية الخاصة، والنتيجة سوف تتحول تلك المعرفة الى ايديولوجيا، كما يصبح الدين ممارسة سياسية.

للمهدوية في بلد كالعراق تاريخ طويل ولها إرث كبير احتفظت به الذاكرة الجمعية، لهذا نجد بين فترة واخرى من يخرج لنا مثيرا هذا الإرث في ذاكرة الجماهير، باعثا الآمال في نفوسهم. والمطلع على تاريخ الحركات المهدوية في العراق رغم اختلافها إلا انه سيجد تشابها بنيويا سواء من حيث المنطلقات أو من حيث الغايات والاهداف، وباختصار شديد، وكما سنرى ذلك في هذا البحث فان بناء الجماعات المهدوية يعتمد على تفاعل بين الذات والواقع الاجتماعي الديني والنفسي والسياسي والثقافي، فيأخذ الجانب المعرفي بعدا جماعيا تنظيميا أو حركيا، فيصبح التفاعل النفسي مع موضوع المهدي أو الشعور بالقضية المهدوية منظم ومؤسس جماعيا في حركة لها اهداف ايديولوجية وغايات سياسية.

إن ما يهمنا في هذا المبحث الخاص بالحركات المهدوية ومنها الحركة اليمانية، هو توضيح كيف تعمل الرموز المهدوية سيكولوجيا وتؤثر بحيث تنتهي بتشكيل حركة أو تنظيما مهدويا؟ أو: من أين يستمد الخطاب المهدوي قوته ويؤسس سلطته الرمزية في المجتمع العراقي؟ إن ما لاحظه الباحث في هذا الصدد هو ان موضوعة المهدوية هي خزان كبير من النصوص والاسماء والمقولات والرموز والتقاليد والطقوس والصور والبنى ...الخ وتظل هذه المضامين مفتوحة امام إعادة القراءة والتشكل، قابلة للتأويل، بل وللتخييل ايضا، فلا يحتاج الشخص المهدوي - سواء كان صانعا لخطاب مهدوي (قيادة) او متلقيا متماهيا (عضو)- الى دليل عقلي بقدر ما يحتاج الى مخيلة نشطة وانفعالات نفسية كي يستحضر تلك الرموز والصور وكل ما يوصله بالنماذج الكامنة في للاوعي الجماعة الدينية. والذي يطلع على أدبيات الحركات المهدوية سيجد انها محاولات تمثل ماضي القضية المهدوية - خاصة التراث الروائي الكبير- وتوظيفه واسقاطه في الحاضر، ولو اخذنا صناعة الزعامة المهدوية لأحمد اسماعيل، لوجدنا ان ادبيات الجماعة ظلت تسعى لبناء صورة له مستمده من مفاهيم ذات اصول شيعية اثني عشرية عقائدية، مثل: الإمامة، والمهدوية، والنيابة، والقيام، وهي مفاهيم مشحونة برمزية دينية عالية في ذهن وفي مخيلة اتباع هذا المذهب. وكما نلاحظ فان فكرة الحكم لدى الجماعة اليمانية استندت الى هذا التصور الشيعي عن الإمام، فافترضت ان احمد اسماعيل هو من يجب ان يشغل هذا التصور للإمامة، ومن هنا يجب ان يحكم احمد اسماعيل هذا العالم بموجب عقيدة الزعامة المهدوية العالمية كما يؤمن بها اتباع المذهب الشيعي. لهذا نجد كثرة الألقاب والمسميات التي سمى بها احمد اسماعيل نفسه أو اسبغها عليه ابتاعه، وهي موجودة على الموقع الرسمي للجماعة، وهي كالآتي: الامام- المهدي- ابن المهدي- وزير المهدي- أول المهديين- اليماني- المهدي الأول- وصي ورسول المهدي- خليفة الله، وغيرها من التسميات والالقاب التبجيلية.

إن الطبيعة المفتوحة للسردية المهدوية تجعل باب التأويل مشرعا على الدوام امام الطامحين لصناعة رمزيتهم الخاصة منها، ولاحظنا ان هذه الرمزية تسير باتجاهين من اتجاهات السلطة، الأولى خاصة بزعيم الجماعة، والثانية بالجماعة نفسها، وهي كالآتي:

أولا: الرمزية المهدوية لمؤسس الجماعة أو الحركة، ويمكن تفسيرها بحسب مفهوم ماكس فيبر (الزعامة الملهمة Charisma) التي تأتي عكس السلطتين، العقلانية والبيروقراطية، والسلطة التقليدية الأبوية والوراثية. حيث يعتقد الاعضاء انهم في مشكلة أو مأزق ولا احد سوى هذا الشخص يمنحهم الخلاص، بما يمتلكه من صفات ذاتية، خاصة به لوحده، كونه محل اصطفاء Berufung. وبحسب فيبر فان هذا النمط من السلطة يرتبط بشكل وثيق بالتفكير السحري الذي سبق التفكير العلمي بقرون، فهو يستمد مشروعيته من انتشار رؤية العالم السحرية بين افراد المجتمع، فهي التي تضفي هذه الصفة الاستثنائية او الخارقة على الشخص لتجعل منه كارزميا، أي موهوبا بقوى خارقة من قبل المقدس أي هبة ربانية ، أو باعتباره مبعوثا من قبل الله لهذه الجماعة بالتحديد أي مخلصا (وقد يكون الشخص في الحقيقة مجرد مختل نفسيا يعاني من

احد الاضطرابات العصابية أو الذهانية كالاضطرابات الوهامية Delusional Disorder)، لهذا فهو اعتراف شخصي من قبل الافراد لأسباب نفسية تتعلق بأزمة او أمل، لذا فهو غير مفروض عليهم، ولهذا سرعان ما يصبح زعيمها الذي تلتزم بأوامره وتقدس شخصه ويتعلقون به. وفي حال احمد اسماعيل فان قداسته أو كارزميته استمدها من محاولته موضعة نفسه في نقطة المهدي أو ما يحيط بهذه الشخصية، أبنه أو رسوله. اما عن آلية نقطة الوصل بينه وبين الامامة المهدوية أو بينه وبين كل ما يدعيه من كونه الامام والمهدي وخليفة الله و...الخ فقد اعتمد فيه على رواية (الوصية) المنسوبة للنبي، وهي نص نبوئي يقول "سيأتي من بعدي اثنا عشر إماما، واثنا عشر مهديا". هنا سيدعي احمد اسماعيل انه المقصود بهذا النص، على اعتبار ان آخر الأئمة الاثني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري قد أوصى له، ليمهد له طريق (الظهور) وذلك بواسطة (الحاكمية) أي ارجاع الحكم لله. وهنا كما نلاحظ قفزة مخلة من فوق المنطق يصل بخطابهم الى ادعاء ان المدعو احمد اسماعيل هو لا غيره المقصود، ليأتي بعد هذا حزمة من الاستنتاجات الخاطئة التي سوف تتحول الى مباني عقائدية تتداولها الجماعة في أدبياتها، فبما ان احمد اسماعيل هو الامام الحاكم فهو إذن (الأعلم) و(الاحكم) من جميع قادة العالم الدينيين والسياسيين، وان هؤلاء القادة والزعماء ورطوا البشرية بالمزيد من المصائب والكوارث والشرور التي لن ينقذهم منها سوى حاكم إلهي، وهو احمد اسماعيل. وحين رجعنا الى ادبيات الجماعة للتعرف الى تبريرهم ان المدعو احمد اسماعيل نفسه لا سواه هو المقصود بالذات فكانت الاجابة ببساطة لأنه ادعاها، أي انه ادعى انه المقصود بهذه الوصية، في حين لم يسبقه احدا الى مثل هذا الادعاء. لهذا تعتقد الجماعة اليمانية ان عصرنا هذا هو طور إمامة احمد اسماعيل، فهو الإمام المكلف من قبل الله والنبي والأئمة الاثني عشر بإدارة شؤون العالم بما يهيئ العقول والنفوس لتلقي الظهور التام أو النهائي للمهدي، والذي يعني نهاية العالم وما يرافق هذا الظهور المقدس من حروب كونية هي الملاحم الأخيرة في التاريخ البشري على الأرض ومن احداث آخر الزمان كالكوارث الطبيعية وغير الطبيعية. وبما ان الحرب تحتاج الى محاربين، ودعوة المهدي تحتاج الى انصار وممهدين أو دعاة فان الجماعة اليمانية هي من ستقوم بهذه المهمة بعد طلب احمد اسماعيل منها ذلك، لهذا اطلقت الجماعة على نفسها تسميات (انصار المهدي) و(انصار الله)، على افتراض انه بدوره مكلف من قبل المهدي مباشرة، كما ادعى هو وصرح بانه التقى به عدة مرات وطلب منه القيام بذلك.

ثانيا: ومن ثم يأتي الاتباع ليجعلوا من هذه الرمزية محورا لسردية جماعية أو نسخة مهدوية (متخيلة، او مصنوعة) خاصة بالجماعة تخفي الواقع عنهم وتغلفه بغطاء مهدوي، فلا يقرؤوا العالم إلا من هذا المنظار. ومن خلال التفاعل بين الزعيم والاتباع أو الجماعة يولد التنظيم (بالمعنى السياسي)، بتوسط الايديولوجيا، ومن اجل ان تحقق الجماعة المهدوية اهدافها تنظم نفسها سياسيا، وتحمل السلاح دفاعا عن هذا المشروع أو التنظيم. لقد أثبتت التجربة التاريخية للحركات المهدوية بعد ٢٠٠٣ انها تنتهي دائما الى العنف، بدءا من أول تلك الحركات، وهي حركة (جند السماء) وحتى حركة اليماني، وما جاء بعدها.

هذا النمط من السلطة أي الكارزمية يفسر لنا فقر الإرث الفكري والتنظيري للحركات المهدوية في العراق، وحتى اكثرها انتاجا مثل الحركة اليماني ظل انتاجها محصورا في اثبات ذاتها والرد على المشككين. وهذه الحركات بسبب ان نوع السلطة فيها كارزميا وتسودها النظرة السحرية واحيانا الاسطورية للعالم فهي تبقى مشدودة لما يصدر من زعيمها، فعلى اعتبار انه ملهم من الله أو يلتقي بالمهدي إذن هو الوحيد المخول باصدار الأوامر وتحديد مسار الجماعة، وهو ما قام به احمد اسماعيل، فقد اصدر عدة بيانات حددت علاقة الجماعة داخليا وخارجيا ورسم لها مواقفها من المؤسسات الاجتماعية والدينية والسياسية والامنية. وعلى سبيل المثال فاذا ما قارنا واقع هذه الحركة بحركات متطرفة ظهرت سابقا كتنظيم القاعدة نجد ان هذا الأخير

ينهض على تراث حركي فكري وتنظيمي طويل خطته الحركات الجهادية السابقة له كتنظيم الجهاد المصري وما تركه عبد السلام فرج، أو ما خطه اشخاص مهمين في هذا الميدان كسيد قطب، فهذا التراث الحركي يمتد الى سنة ١٩٢٨ يوم اعلنت جماعة الاخوان المسلمين عن نفسها بقيادة حسن البنا. ولكن الذي يطلع على كتب أو منشورات احمد اسماعيل سيجدها تركز على شخصيته هو باعتباره إماما مهديا، فترى الكتاب يسرد الكثير من القصص والمرويات - بعد ان يحشر وسطها آيات من القرآن واحاديث منسوبة للنبي أو للأئمة- مفترضا انها أدلة تثبت إمامته ومهدويته. لا تعكس تلك الكتب قراءة للواقع الاجتماعي أو السياسي أو الأمني أو الديني في العراق، بل تهيمن عليها رؤية ايديولوجية اسطورية ويوتيوبية يسودها منطق غير عقلاني يعلي من شأن الرؤى والاحلام والمعجزات والتوسمات.

ان ادعاء البعض للمهدوية ظلت يكشف عن آليتين فكريتين، الأولى تتعلق بالطبيعة الرمزية لفكرة المهدوية وكونها خاصة بالمستقبل أي فيها جانب تأويلي وتنبؤي، جعل الوصول اليها لا يتم بالاستدلال العقلي بقدر ما يتم بواسطة الخيال والرمز، وجعل من السهولة ان ينسب أي شخص طامح نفسه ويموضعها في الموضع التي تركته المروية فارغا لمن يأتي فيشغله، فقط عليه ان يبحث في تشابهات أو يدعيها بينه وبين ما تصفه المرويات المهدوية. لهذا نرى من بين هؤلاء من يدعي انه المهدي أو من يدعي انه اليماني أو الخرساني أو أي شخصية مذكورة في الرواية، بالمقابل لن يجد المهدويون صعوبة في استنتاج ان كل من يقف بوجههم هو عدو، (السفياني) أو (الشيصباني) أو (صاحب البرقع) أو احد اتباع هذه الاسماء. ويمكن تفسير هذه النقطة بواسطة مفهوم فيبر للنمط الكارزمي، فنمط القيادة الكارزمي لا يحتاج الى قواعد وتعليمات وتسلسل هرمي، بل هو لا يعتمد النظرة العقلانية بشكل عام، وانما تحتاج الى تفانhingabe، أو يحتاج دليل من نوع خاص قد يكون معجزة (بحسب تعريف الجماعة لها)، او تقدير سحري وبطولي (شغف، او شعور ديني) لشخصية دينية خلاصية أو انقاذية (محنة أو كرب نفسي). لهذا نجد احمد اسماعيل يخاطب اتباعه ومتلقيه بنبرة حاسمة باعتباره (الإمام) كما يعتقد به الشيعة الاثني عشرية، فهو ليس بحاجة لرأيهم بقدر حاجته - والتي هي مصلحتهم- لتأييدهم الذي يحتاجه الملوك والأمراء، أو لأصواتهم الانتخابية التي يحتاجها الزعماء والقادة السياسيين او كل من يبحث عن المكانة السيادية Herrenprestige. إن العقد الذي بينه وبين الآخرين هو عقد إلهي، عليهم طاعته فقط، لأن مخالفته توقعهم في الكفر. بالمقابل فان الزعيم - بموجب هذا العقد- تقع عليه مسؤولية انقاذهم وخلاصهم.

اما الآلية الثانية فهي المحاكاة، كأي جماعة فان الهدف الذي تروم اليه الجماعة من سرديتها المهدوية هو وحدتها وتماسكها وتحقق ذاتها، لذا يمكن تلمس ملامح الشبه بين هذه النسخة المهدوية التي ابتدعتها، وبين الظروف الاجتماعية والسياسية التي احاطت بها. وسواء تعلق الأمر بصناعة رمزية الزعيم أم بصناعة الجماعة لسرديتها يبقى فعل المحاكاة هو الفاعل ههنا، فكل واحد من هؤلاء المهدويين يحاكي الفعل المهدوي (الماضي) بطريقته الخاصة، لأن فعل المحاكاة والمقايسة هذا يحركه خيال الأفراد انفسهم. ان خيال اتباع تلك الحركات هو الذي يمهد لهم الطريق الرابط بين الماضي المقدس الموجود في الروايات والحدث التاريخي أو الموجود في المخيال أو في الذاكرة، وبين الواقع الذي يعيشونه، فتصبح معاركهم معارك المهدي، والذي يؤذيهم أو يخالفهم، يخالف المهدي والنبي ورب العالمين. إن عملية المماثلة تقوم على انتقاء علامات بعينها (احداثا أو اسماء اشخاص) ومحاولة سكبها على زمننا الحاضر بعد تفريغه من محتواه ومن كل ما يجده مخالفا لعملية المماثلة، وبمرور الوقت نجد امامنا سردية كاملة قد تكونت (ساعدت وسائل النشر الإلكتروني في ذلك)، والسردية كما هو معروف تمتلك سلطتها (سلطة الخطاب المهدوي التي

ترتكز بيد المنظر أو صاحب الخطاب، وهو هنا ممثل الخطاب المهدوي) او تأثيرها المعرفي والنفسي على الأفراد، خاصة وانها سردية جاءت باسم المقدس.

ثانيا: الحركة اليمانية

تزخر أدبيات وبيانات وخطب الحركة اليمانية بمجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي تعكس تفكير الجماعة، ومن امثلتها: (شعب الله المختار)، و(الحق كله)، و(الحق المطلق)، و(العلماء غير العاملين)، و(علماء الضلالة) و(الاصنام)، و(منهج الشيطان). وتقر الحركة، كما يقر احمد اسماعيل (اليماني) نفسه بانه هو الإمام وطاعته واجبه و(الملتوي عليه من أهل النار) سواء كان مسلما أو يهوديا أو مسيحيا. ويولي اصحاب الحركة اليمانية اهتماما خاصا بما يسمونه (حاكمية الله) وهو مفهوم ينتمي علميا الى نظرية الحكم الثيوقراطي، ويعني عدم جواز تولي الحكم والسلطة لأي شخص لم ينصبه الله، وان هذا الشخص يمثل الله على الأرض ويتمتع بصلاحيات مطلقة . تعلق اصحاب هذه الحركة بفكرة الحاكمية هذه يأتي كتورية تكرس سلطة زعيم ومؤسس الحركة احمد اسماعيل، لهذا اصبحت فكرة حاكمية الله حجر الأساس في البناء الفكري للحركة. وتقوم فكرة الحاكمية على افتراض ان هناك وصية للنبي محمد أوصى بها الامام علي ليلة وفاته، وبغض النظر عن وجود هذه الوصية وضعفها حديثيا التي نقلتها بعض كتب الحديث الاثني عشرية، تبقى هي نص مفتوح، لا يعني شخص بعينه، ولا يكفي ان يكون اسم الشخص احمد ان يدعيها. وعلى ضوء فكرة الوصية هذه قرأ احمد بن الحسن التاريخ البشري كسلسلة متعاقبة من الحكام الإلهيين أو خلفاء الله، بدءا بآدم وانتهاء به. ومن أجل ان تستقيم فكرة الوصية وتصل اليه، اضطر احمد اسماعيل الى فرض افتراض أو رأي آخر، يقول بان مرحلة الأئمة الاثني عشر قد انتهت وذلك بظهور الإمام الاخير المهدي، وان احمد اسماعيل يلتقي به، واثناء تلك اللقاءات كلفه المهدي بإعلان ظهوره، ومنحه الحكم الإلهي أو الولاية المطلقة باعتباره أول المهديين الاثني عشر. لهذا يؤمن اليمانية بان عصرنا الحالي هو عصر الظهور. كذلك يؤمن اليمانية بادعاء احمد اسماعيل ان هذا التكليف الإلهي لإمامته المهدوية بدأ أول مرة من خلال عالم الرؤيا (الاحلام) وانتهى بلقاء حقيقي مع المهدي. ليعلن احمد اسماعيل بعد ذلك ان المهدي أباه. هنا يمكن التذكير بما يصطلح عليه أوتو رانك (٢٠٢٤) في كتابه (اسطورة ولادة البطل) ان الضغوط النفسية تدفع الافراد نحو اختلاق أوهام هذيانية للنسب. ان التركيز على التأصيل لزعامة احمد بن الحسن وبطريقة غير منطقية وغير واقعية ساهم بفشل الحركة اجتماعيا أو خارجيا، وحال دون تحقيق اهدافها تنظيميا او داخليا. لهذا جاء التعكز على الروايات المنقولة، ومحاولة ليها وقطعها من سياقاتها لتناسب زعامة احمد اسماعيل وسرديته الخلاصية، ومن ثم الانتقال الى بناء الحركة فكريا وتنظيميا، فهذه التنظيمات يمكن تعريفها بانها سيرة حياة قياداتها، كل ذلك ادى الى ركاكة وضعف جانبها الفكري والتنظيمي. ان الذي يطلع على الخطاب المهدوي العراقي بعد ٢٠٠٣ سيجد انه لا يروي التاريخ الواقعي، بل يروي تاريخ الذات المكبوتة، لهذا يعكس هذا التاريخ صورا رسمها المخيال عن شخصية المهدي مختلطة بكل ما امتزج معها من افكار وسرديات ورموز تركها مؤسسي الحركات المهدوية الواحد تلو الآخر عبر تاريخ المنطقة. الجزء الاكبر من أرث تلك الحركات هو تأويلات وتمثلات واستيهامات حول شخصية المخلص. لهذا فقد امتدت سهولة ادعاء المهدوية الى ولادة مهدويين جدد من داخل رحم نفس الحركة التي تدعي المهدوية، وهذا ما حدث مع الحركة اليمانية نفسها، حيث انقسمت الى حوالي ثلاثة مجموعات، كل مجموعة يدعي زعيمها انه المهدي أو رسوله، ومن اللافت ان نجد شابا امريكي الجنسية يطلق على نفسه اسم (أبو الصادق عبد الله هاشم) يحتفظ بلقب (القائم) أو (قائم آل محمد) يدعوا لمهدويته باللغة الانكليزية ثم تترجم لقائته وخطبه الى لغات كالعربية والفارسية ولغات اخرى باعتباره (المهدي الثاني)، المكلف أو الموصي له من قبل المهدي لأول احمد بن الحسن، وانه

امتداد لمهدويته، والممثل الحقيقي لدعوته المهدوية، وقد نهض بأعباء الدعوة بعد اختفاء احمد اسماعيل (طور الاستتار). يميز عبد الله هاشم نفسه واتباعه من اعضاء اليمانية السابقين (اتباع احمد بن الحسن) بلباس خاص حيث يضعون غطاء الرأس الاسود، وضرورة أن تكون ملابس الرجال سوداء اللون بالكامل.

تحرص الجماعة اليمانية على صناعة سردية خاصة بمهدوية احمد اسماعيل بالاعتماد على مواد تعود للروايات المهدوية والتراثية عامة، واخرى تعود للذاكرة الجمعية أو للمخيال الجمعي، لهذا فلا يجد هؤلاء الدعاة صعوبة تذكر في اختيار واحد من هذه الاحداث أو الرمزيات التي قد يوجد فيها احد وجوه الشبه بين الحالتين، ووجود تشابه ما هو أمر طبيعي ولكن تضخيم الجزء وجعله ممثلا عن القضية كلها هو خلل منطقي وتشوه معرفي وانحراف نفسي، فمثلا حينما يقرأ ان راية المهدي سوداء اللون مكتوب عليها (البيعة لله) فيصنع راية مكتوب عليها ذلك ايضا، ويمتد به الأمر الى القيام بكل ما يقدر عليه مما هو مذكور بالروايات الخاصة (بالظهور) فيطبقونها، كما يطابقون بينهم وبين الاسماء والرموز المروية من اجل صناعة عالم موازي للمرويات المهدوية، عالم جاهز ليتماهوا به نفسيا. ان قوة التماهي تلك نابعة من كون هذا التدين تدينا عصابيا، حيث يجد الشخص نفسه مدفوعا إليه كوسيلة دفاعية ضد ما ينتابه من مشاعر الخوف أو القلق، أو ما يعيشه من الشعور بالذنب وتأنيب الضمير. فكلما كان الفرد يعاني من مشاكل وأزمات نجده يتماهى اكثر مع المجموعة التي توفر له احساسا بالاطمئنان وتخفف من احساسه بالاغتراب الاجتماعي أو أزمة الهوية. داخل هذه الجماعات يبدأ الفرد بالتخلي عن الهوية الشخصية Personal Identity لصالح الهوية الجماعية Group Identity، فيصبح مهيأ لتلقي الأوامر دون مناقشة فكرية أو مسائلتها نقديا.

وكما نلاحظ فان الأمر سيكولوجيا يحتاج الى قوة خيال اكثر من الحاجة للعقل، والى اللاوعي اكثر من الوعي، وما يتخلل هذه العمليات من آليات ميكانزمية كالاسقاط والتماهي وغيرها. اما معرفيا فان الأمر يحتاج الى عمل مقايسة أو مماثلة ومحاكاة بين الماضي والحاضر، فمثلا اليماني يعقد مقارنة بينه وبين الانبياء والأئمة، يفترض بموجبها (منطق الثنائية) ان ما يلاقيه من رفض من قبل المجتمع والحوزة الدينية في النجف ومن القوات الأمنية هو نفس ما لاقاه هؤلاء الأئمة او الأنبياء من اعدائهم، ووفقا لهذا التفكير ليس مهما ان تحقق الدعوة نصرا في الوقت الحاضر أو يحقق زعيمها المعجزات، وكما يشير احمد اسماعيل في بعض كلماته الصوتية المسجلة ان محاربته من قبل رجال الدين او الشرطة قد جرى للأنبياء والأئمة اللذين ينتمي هو اليهم بالنسب وبالدعوة، فتصبح هزيمته على مستوى الواقع نصرا له على مستوى الخيال. هنا ينجرف بعض المتلقين لتدفع بهم قوة الخطاب المهدوي لليماني ان لا يرون الحدود الفاصلة بين خطاب اليماني وصورته وبين صور ورمزيات الامام (المهدي) كما رسبت في اعماق المخيال الديني لشخصية المهدي.

يقوم وجود هذه الحركات على استغلال التراث الخاص بالمهدي، لهذا تعيد انتاج الافكار الدينية المتضمنة في النصوص على نحو ايديولوجي يتلاءم واهدافها ومصالحها. وتبعا لهذه الايديولوجية يرى المتطرف دينيا في العنف Violence واجبا شرعيا (جهاد) وحربا مقدسة للدفاع عن العقيدة، مستندا الى رؤية للعالم كلية ومطلقة، لذا، عادة ما ينتظم هؤلاء المتطرفين في حركات دينية لها اهداف سياسية تتمثل في الاستيلاء على السلطة وفرض نموذج الحكم الذي يتصوره وهو دولة متخيلة (دولة العدل الإلهي) التي تصطدم بنمط الحكم الحالي التي تحكم دول العالم. ان نموذج الدولة التي يتصورها الحركات الدينية المتطرفة ومنها الحركة اليمانية نموذج موغل بالقدم، يعود الى حقبة عبدت فيها الشعوب ملوكها خاصة في المجتمعات البدائية، او في العصور الوسطى حيث عد الملك أشبه بالإله أو وسيط له. ويخبرنا علماء الأنثروبولوجي ان

قدسية السلطة كانت مستمدة من السحر في العصور التي كان يسود السحر فيها، ثم وجدت في بعض مبادئ الدين مصدرا تتغذى منه مع انتقال البشرية الى حقبة سيادة الدين. فكان الخضوع للملك خضوعا للإلهة أو عبادة لله، وانتهاك هذا الخضوع يوقع صاحبه في دائرة المحرم (بالانديه، ٢٠٠٧: ١٢).

يعرف احمد عبد الفتاح التدين الدفاعي أو العصابي وهو ان يكون التدين دفاعا ضد الخوف أو القلق أو الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير أو دفاعا ضد القهر والاحباط، فيلجأ الفرد للتدين للتخفيف من حدة هذه المشاعر والتخلص منها، وكلما زادت هذه المشاعر قوة كلما كان اتجاهه للتدين اقوى، وهذا النوع من التدين تنقصه الجوانب الروحية وجوانب المعاملات والنواحي الاخلاقية في الدين (عبد الفتاح، ٢٠٠٢: ٣٢١). أما التدين المرضي أو الذهاني فهو ينتشر بين بعض نزلاء المستشفيات ومراجعي العيادات الذين تبدأ عندهم حالة الذهان حيث يلجأ إلى التدين في محاولة منه لتخفيف حدة التدهور والتأثر المرضي، ولكن الوقت قد يكون فات فتظهر اعراض المرض العقلي مصحوبة ببعض المفاهيم شبه الدينية الخاطئة، فيعتقد المريض ويعلن أنه ولي من أولياء الله أو نبي بعث لهداية الناس، أو أنه المهدي المنتظر، ويتصرف على هذا الأساس (عبد الخالق، ١٩٩٨: ٢١٢).

اختلف العلماء والباحثين في تحديد اسباب التطرف، كل بحسب نظريته التفسيرية، فعلى سبيل المثال يربط أريك اريكسون Erikson بين العنف ومسار تطور الهوية لدى الفرد، فالهوية مبنية على مبدأي الاستمرارية والتماثل، ولأن شخصية الطفل تتطور عبر مجموعة عوامل بنيوية وتكوينية تتضمن كل منها أزمة crisis تنشأ عن الصراع بين العناصر النفسية أو الذاتية والعناصر الاجتماعية أو الخارجية. لهذا، وبحسب اريكسون فإن فشل الطفل في تحقيق الثقة والاستقلالية يحول دون تحقيق هوية إيجابية في مرحلة المراهقة، الأمر الذي يقوده أحياناً إلى تشوش وتعليق في هويته، أو إلى تكوين هوية سلبية، وهنا يبدأ ما يسميه اريكسون (أزمة الهوية). تدفع هذه الأزمة المراهق - وحتى بعد سن المراهقة- للبحث عن المعنى، فيتوجه نحو الإيمان بقضية ما أو شخص ما، للتخلص مما يعانيه من الغموض والتناقض وعدم القدرة على تكوين مفهوم واضح للذات، وهذا ما يجده في بعض الجماعات خاصة المتطرفة دينيا، والتي تعويض له نقص أو تشوش الهوية الفردية عبر التوحد بهويتها الجمعية الايديولوجية. ويشير جون ديكت (٢٠٠٠: ٢٧٦- ٢٧٩) إلى وجود بعد للتوجه الديني وهو الأصولية الدينية Fundamentalism التي ترتبط بالتعصب بشكل مضطرد. وقسم جون ديكت محاولات تفسير ارتباط الانتماء الديني او بعض انواعه بالتعصب إلى ثلاث فئات، من أهمها ما تشير إلى ان الانتماء الديني أو التنشئة الاجتماعية قد يتسببا في زيادة القابلية للتعصب Proneness. وتوصل ستيرن (٢٠٠٤) ومن خلال مقابلات مطولة مع عدد من المتطرفين الدينيين (مسلمين ويهود ومسيحيين وسيخ وهندوس) إلى ان من اهم اسباب التحاقهم بالجماعات المتطرفة بحثا عن هوية جمعية تشعرهم بالقوة والقيام باعمال فدائية (استشهادية) ذات اهداف كبرى تخلصهم من هويتهم القديمة الضعيفة التي تشعرهم بالمحدودية والإهانة (شاكر عبد الحميد، ١٩: ٢٠١٧). وهناك من يذهب الى ان هذا التطرف الديني الذي بلغ ذروته مع احداث ١١ سبتمبر/ ايلول ٢٠٠١ يعود لاسباب تاريخية فكرية ثم اصبحت سياسية، فتشير ريتا فرج (٢٠١٠: ١٠) الى مفهوم مهم كالجهاد خضع لعملية توظيف سياسي من قبل الحركات (الاسلامية) بعد احداث ايلول (٢٠٠١)، وساهم بنشوء علاقات تصادمية بين الغرب والحركات الاسلامية، وهذه العلاقة التصارعية ين الاصلاحية الدينية والدولة الوطنية تعود إلى السنوات الأولى لتشكيل الدولة العربية. وقد اشارت دراسة هشام عبد الله (٢٠١٩) إلى عدد من العوامل التي ترتبط بالجماعات المتطرفة كأسباب تدفع إلى التطرف العنيف ومن اهمها الخطاب العاطفي أو الجذاب الذي تعتمده الجماعات المتطرفة، وانها تحقق للفرد حاجته للانتماء. كما وتشير دراسة فاطمة السيد

وعبير حسين خياط (٢٠١٨) الى ان جزء من الشباب يتبنون الأفكار المتطرفة إلى درجة التضحية بأرواحهم في سبيلها، وقد يكون السبب وراء ذلك هو انتشار قيم الفكر المتطرف بين هؤلاء الشباب الذين يعيشون في مجتمعات تضم بين قيمها عناصر ثقافة العنف، ويسهل وقوع الشباب في شبكات هذه الحركات لما تختص به هذه المرحلة العمرية. أما كونين kounin فقد حدد ثلاثة اسباب وراء التطرف وهي:

١. انخفاض درجة تغاير بناء الشخصية، ويقصد بذلك مستوى الثراء أو الفقر في بناء الشخصية، فكلما تجانس البناء قل الرصيد السلوكي للتنوع الذي سيقابل الشخص به تنوعات مواقف الحياة ومن ثم التطرف بالسلوك.

٢. انخفاض درجة التغاير في بناء منطقة بعينها من مناطق الشخصية، مما يترتب علية تصلب السلوك المعتمد على هذهِ المنطقة.

٣. انخفاض مستوى الشعور بالأمن والطمأنينة في موقف معين (خليفة، ١٤٨:٢٠٠٣).

اما عن خصائص الشخصية المتطرفة فقد ذهب عدد من الباحثين الى انها تتصف بما يأتي: صعوبات في التكيف مع الضغوط النفسية، وضعف القدرة على مواجهة الأزمات والمشاكل، ولديها خلل في ضبط حالتها المزاجية، والتعبير عن العواطف، والتبلد العاطفي، وضعف المشاركة الوجدانية مع الآخرين، وتشوهات في التفكير واخطاء في الفهم والاستدلال والتصورات الذهنية، والاندفاع والتهور والتطرف دون تفكير مسبق، والافراط في استخدام الميكانزمات الدفاعية، والتمركز حول الذات، وعدم التعاطف والتسامح إزاء وجهات النظر المختلفة (صالح، ٢٠١٩).

المبحث الثالث

أولا: نتائج الملاحظة

سيجمل الباحث في هذا المبحث النتائج التي توصل اليها من خلال الملاحظة بنوعيها المباشر وغير المباشر، بعد ارجاعها الى اصولها العقدية كما دلت عليها أدبيات الحركة وهي: الجريدة الرسمية (الصراط المستقيم)، والموقع الرسمي الذي يحوي كتب احمد اسماعيل وكلماته الصوتية المسجلة، وكتب لبعض قيادات الحركة.

تعتقد جماعة اليماني أننا نعيش (آخر الزمان) أو (عصر الظهور)، لهذا يجب التهيئة أو التمهيد لهذا الحدث الكوني، وهنا تنتقل من الجانب العقدي- الديني- الفردي الى التنظيمي- الايديولوجي، بحجة تهيئة الناس وجدانيا وعقليا لتقبل الظهور وإن لزم الأمر فرض هذا التهيؤ بالقوة، بل ذهب بعض تلك الحركات الى تكوين تنظيم مسلح من اجل انجاز هذه المهمة، لهذا اعلنوا عن ما تشكيل عسكري باسم (جيش الغضب). جزء من خطة التهيؤ يجيء لاسباب عقائدية ترتبط بالفكرة المهدوية كما تطرحها كتب التراث الشيعي، وهي - في الحالة موضوع الدراسة- كسب ١٠٠٠٠ من الانصار تطلق الجماعة عليهم اسم (انصار الامام المهدي)، و ٣١٣ قائد هم (اصحاب الامام او الابدال)، يكونون جاهزين للقتال ويشكلون النواة الاساسية في مشروع (قيام دولة العدل الإلهي)، يقودهم زعيم يتخذ له عادة اسم احد الشخصيات المقدسة المذكورة في الروايات المهدوية، الذي يكون مرة اليماني، ومرة المهدي نفسه وسفير المهدي و....الخ. يمكن ان نتلمس ما يختبأ تحت هذه الافكار والمبادئ من طموح سياسي ورغبة في الزعامة، كذلك قد يكون لأسباب نفسية تتعلق بحاجة نفسية أو ازمة هوية أو اضطراب ما من تلك الاضطرابات النفسية التي يمتزج فيها العقل بالمرض

والوعي باللاوعي. تستخدم الجماعة عدد من آليات غسيل الدماغ، ومن أهمها جعل الشخص يمشي على قدميه متجها الى زيارة الامام الحسين واثناء ذلك يتم تلقينه ببعض افكارهم العقائدية ممزوجة بالتسبيح المستمر وترديد بعض الادعية والاذكار والأوراد، التي تؤثر في نفسيته وتجعله مشوش نفسيا فيكون مستعدا لتقبل ما يطلب منه فيكون كالمنوم، واثناء الطريق وبسبب التعب يطلب منه الراحة والنوم في احد منازل اصحابهم، وقبل النوم يتحدثون له عن كيف رءوا النبي أو احد الأئمة يخبرهم عن احمد اسماعيل، أو كيف رءوا احمد اسماعيل نفسه، في محاولة لأن تطبع هذه الصور في ذهنه فيراها في النوم. بعد اتمام طقس الزيارة هذا يصبح الشخص جاهزا لتلقي الدعوة ويكون هو مؤهلا لدعوة الآخرين لمناصرة الدعوة اليمانية وكسب انصار جدد، وهو ما يسمونه (التوسع).

بعد اضفاء الطابع المهدوي المقدس على التنظيم يصبح الجميع بنظرهم كافرين، فمثلا باسم (حاكمية الله) تتحول الديمقراطية الى كفر ويرفض الدستور والبرلمان وتحرم الانتخابات، ويصبح رجال الدين لأنهم لم يؤمن بدعوة اليماني كلهم (أعوان الطواغيت) و(العلماء غير العاملين) و(فقهاء آخر الزمان اصحاب الفتنة). اما الحكام السياسيين فيصبحون كفارا - مغتصبين لحق الامام الذي هو زعيم التنظيم- هم واتباعهم ومن اعانهم من رجال القضاء ورجال الأمن، ويجد المجتمع نفسه من حيث لا يعلم وقد صار عدوا لله والامام، واعضائه جنودا في جيش (الدجال الأكبر) أو (السفياني). يقول احمد اسماعيل ان جميع المسلمين ليسوا مسلمين و "إن ما موجود بين ايديكم هو دين مزور محرف، ولا استثني فئة منه او مذهب، لعنة الله على الظالمين الذين اهلكوا الأمة واوصلوهم الى هذا المستوى والانحطاط".

تبرر تلك الحركات لأعضائها ممارسة العنف من أجل اهداف (دينية) مبنية على فهم خاص ومتزمت للنصوص الدينية على الناس، هذه الاهداف ترفع شعار تطبيق الشريعة على الدولة والمجتمع، وكما يصف دوركهايم هذه العملية بانها "مقدرة المقدس الاجتماعي- الديني لأن يجتاح الظواهر التي قد تكون، وصورة مختلفة، من الظواهر التي تخبر بأنها ظواهر علمانية" (ميلور وشلنج، ٢٠١٦: ٤٢). لهذا لا يمكن الفصل في موضوع التطرف الديني بين الفردي والجماعي، فقد استطاعت الايديولوجيا أو العقيدة ان تذوب هذا الفارق، وهذا يستوجب من الباحث في موضوع التطرف الديني أن يضع أهمية هذا البعد في الحسبان، فلا ينبغي دراسة المتطرف عقائديا (دينيا وغير دينيا) بمعزل عما يؤمن به من عقيدة وما ينتسب له من جماعة تنظيمية. فقد تغلب احيانا فعالية الجماعة Group Activity ويسلك الأفراد بتأثير حالة عقلية مشتركة Collective mental state. ويزداد صواب العقيدة بزيادة عدد المنتمين إليها وتساعد الطقوس والرموز (وحضور الرايات والاعلام والرسومات والصور....الخ، وكذلك اعتماد الشعائر والادعية والاحلام (الرؤى) وادعاء بعض القدرات الخارقة كشفاء المرضى أو التنبؤ ببعض الاحداث. وهي أمور نجد ان الحركات المهدوية العراقية استخدمتها، بل بالغت الى حد جعلها دليلا على صحة ادعاءاتها كما حدث مع الحركة اليمانية. إذن، التطرف يؤثر ويتأثر بمجموعة من الظواهر كلها سلبية كالتعصب Prejudice والتصلب Rigidity والتحيز Bias وأحادية العقلية Single mindedness والنفور من الغموض Intolerance of ambiguity، والذي يطلع على مجموعة البحوث التي عالجت موضوع التطرف سيجدها دائما تقرن التطرف بواحد من هذه المتغيرات والصفات السلبية على سبيل المثال: دراسة سويف ١٩٦٨، ودراسة وار وكوفمان ١٩٧٠، ودراسة هشام عبد الله ١٩٩٦، ودراسة هانسون Hanson،١٩٧٣، ودراسة سنبمسون ودالو Stimpson & Dalo،١٩٧٤، ودراسة علي الخضير ١٩٨٠، ودراسة شريف رزق ٢٠١٠، ودراسة سليمان عبد الله ٢٠١٨ ، ودراسة محمد الشامسي ٢٠١٩، ودراسة عبد الحميد زيد ٢٠٢٠، ودراسة عقيل حبيب ٢٠٢١.

نلاحظ اعتماد اغلب تلك الحركات على عناصر خيالية كالاحلام (الرؤى) والاستخارة، ومن دون تفكير يتم دمج مثل هذه العناصر اللاعقلانية والخيالية في الاصول الفكرية والعقائدية. في الموقع الرسمي لليمانية وفي خطبة بصوت احمد اسماعيل يخبرنا ان أول اتصال له بالمهدي جاء عن طريق حلم (رؤيا) تكرر. وفي هذا الموقع الرسمي للحركة نطالع ان الرؤيا هي أول دليل على مهدوية احمد اسماعيل فمن يريد التأكد من هذه المهدوية عليه ان يلجأ للرؤيا "بالنسبة للرؤيا هناك دعاء لمن اراد ان يريه الله رؤيا تبين صاحب الحق"، ثم نجد الاستخارة باعتبارها الدليل الثاني (الموقع الرسمي للحركة، كذلك كتاب: جامع الادلة، للدكتور ابو محمد الانصاري وهو من انصار الحركة).

والحركة موضع الدراسة لا تشذ عن ما يتصف به اتباع اي حركة متطرفة، حيث يأخذ التوجه الديني شكلا عقديا ايديولوجيا تنظيميا، يسعى لتشكيل مجتمعا خاصا بالضد من المجتمع الأصلي، مجتمعا دينيا مغلقا تماما تحكمه قواعد صارمة، لهذا يتبع اعضاء الجماعة توجيهات قياداتهم وزعيمهم بمقاطعة جميع المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية. تكشف البيانات الصوتية المسجلة لزعيم الحركة والموجودة على الموقع الرسمي عن نبرة تكفير معممة على جميع تلك المؤسسات لمخالفتها (امام زمانها... المنصب من الله). كذلك يلاحظ المستمع لهذه البيانات والقارئ لأدبيات الحركة اليمانية عن ايمانهم بما يسمونه (حاكمية الله)، وهو مبدأ تكفيري لا يستثني مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، حيث يرى ان أنظمة الحكم السياسية كافرة والمجتمعات ضالة والقوانين فاسدة، فلا يجب أن يمتلك الناس ولاية انفسهم ولا قادتهم المنتخبين وغير المنتخبين، ولا أي مخلوق غير الإمام. يمكن ان نرى ببساطة ان طرح فكرة الامامة الإلهية في عصرنا الحالي ومن قبل اشخاص كعبد الزهرة الكرعاوي أو حيدر مشتت أو احمد اسماعيل أو عبد الله هاشم لم تلق قبولا اجتماعيا، وتسببت في التعجيل باضعاف تلك الحركات وانهيار بعضها، دون ان يعني ذلك انتفائها، بل لا تزال مثل هذه الحركات قائمة داخل مجتمعنا العراقي، واخرى قد نقلت نشاطها الى العديد من الدول، فعلى سبيل المثال نشط فرع جديد من الحركة اليمانية في لندن بقيادة المدعو عبد الله هاشم.

تبني الحركة اليمانية نسقها الاعتقادي على إمامة احمد اسماعيل إمامة إلهية مفترضة انه الإمام المهدي الأول في سلسلة المهديين الاثني عشر، بعد انتهاء سلسلة الأئمة الاثني عشر الذين يبدؤون بالإمام علي بن ابي طالب وينتهون بمحمد بن الحسن العسكري. يقوم التأصيل العقدي لإمامة احمد اسماعيل عند اليمانية على ما يسمونه (حاكمية الله)، فوفقا لهذا المفهوم يشترك احمد اسماعيل مع الأئمة الاثني في الإمامة، والتي تعني ولية الأمر المطلقة، ولاية دينية وسياسية، ويعد كافرا كل من يخالف أمر الإمام او لا يطيعه. ويعتقد اليمانية ان عدم امتلاك الامام (احمد اسماعيل) حاليا لسلطة أو ولاية سياسية على الناس لا يعني انه لا يملك سلطة روحية أو انه ليس إماما، لأن الإمامة - كما تصفها العقيدة الاثني عشرية- ميزة ممنوحة من الله، لا دخل للناس فيها، سواء قبلوا ذلك، او لم يقبلوه، وبهذا يكون احمد اسماعيل شأنه شأن الأئمة الاثني عشر. ويعتقدون ان احمد اسماعيل منح إمامته من قبل المهدي نفسه، وهذا يفسر الالقاب التي اطلقها هو على نفسه واعتمدها اتباعه، وهي: وصي ورسول وابن الامام المهدي، وانه اليماني الموعود حامل راية الامام المهدي، راية البيعة لله، أهدى الرايات، وهو الحاكم الإلهي، وامام الزمان الذي تعادل معرفته الدين كله، ومن مات ولم يعرفه (مات ميتة جاهلية)، و(الملتوي عليه من أهل النار).

لاحظنا ان مهمة الفاعلين الاجتماعيين تتلخص في تحويل الفكرة الى عقيدة، لتنشأ منها مؤسسة أو تنظيما فكريا أو حركة سياسية، وذلك استنادا لمنطلقات وبواعث الدينية للتفكير المهدوي في نفوس بعض المؤمنين بهذا التفكير. وهذا الفاعل هو شخص يعمل على تأسيس رؤيته الاخروية المهدوية عن العالم ليبني نظام تفكير خاص، حيث كل دلالة واشارة يتم تأويلها لصالح القضية التي تشغل تفكيره وتهيمن عليه نفسيا. على

العكس من الغايات التي يحكمها الجانب السياسي، فقد تكون بداية الفرد أو الجماعة المهدوية مجرد افكار وانفعالات وحتى اضطرابات وامراض عصابية وذهانية، كلها ناتجة عن صراعات نفسية يعانون منها، ولكنها بمرور الوقت تأخذ طابعا تنظيميا وتصبح لها اهدافا سياسية. يتركز دور الجماعات والحركات في تفعيل المخيال الاخروي واستحضاره من الذهن الى الواقع على ما يحمل هذا المخيال من إشارات الى المستقل، فمرويات هذا المخيال مرويات تنبؤية ورؤيوية تصف احداث آخر الزمان Apocalypse، فترمز وتأول الشخصيات والاحداث المهدوية - كشخصية المهدي أو اليماني او السفياني أو الشيصباني، أو كاحداث من قبيل مجيء حاكم عربي اسمه اسم حيوان (يدعون الملك فهد) أو حاكم اسمه عبد الله (يدعون انه ملك الأردن الحالي) أو جفاف بحيرة طبريا ...الخ- حتى تكون صالحة لفكر الجماعة ورؤيتها للعالم، وللماضي والحاضر والمستقبل. فيصبح الفرد جزءا من السردية المهدوية، يعيش حياته معتقدا انه يعيش آخر الزمان، وفعله فعل المهدي او احد اصحابه، اما اعداء الجماعة فيمثلون عنده اعداء المهدي كما تذكرهم المرويات كالسفياني أو افراد جيشه. فيخوض الشخص المهدوي حروبه باسم حروب المهدي أو احد اتباعه كاليماني، والذين يهاجمهم من قوات الأمن العراقية هم جيش السفياني. إن دور الجماعة أو الحركة المهدوية هو استحضار الصور من المخيال المهدوي الراسخ في الذهنية المؤمنة وتشكيله أو بلورته بلورة ايديولوجية أو تنظيمية أو سياسية. ويمكن عد رؤية العالم الأخروية من أهم عمليات التشكل الثقافية في موضوع الحركات المهدوية، فمفهوم رؤية العالم الأخروية يكشف لنا أن افكار ومعتقدات هذه الجماعات ليست تشكيلة عشوائية Random من المؤشرات والصفات، وتظهر لنا الطريقة المتماسكة والمتكاملة لتنظيم العالم عقليا في ذهن الاشخاص المهدويين، وإن سلوكهم يعكس النمط أو التكوين الكامن للجماعة المهدوية أو ثقافتها، النمط الذي يسعى للحفاظ على نفسه وهويته امام الانماط الثقافية والدينية الاخرى. وتزوده رؤية العالم View World بإجابات نابعة من سرديته الاخروية Eschatologicil ومعتقده المهدوي عن الكون والعالم وذاته وتصوره للزمان والمكان والعالم غير البشري (عبيد، ٢٠٢١).

بعد فترة اختفاء المدعو احمد اسماعيل أو موته ظهر شخص في الولايات المتحدة ويحمل الجنسية الاميركية، اسمه (عبد الله هاشم)، انه ثاني المهديين. وقد احدث هذا وجماعته - التي لا نعرف هل هي تطويرا لأطروحة احمد اسماعيل ام انها منشقة عنها- تغييرا جذريا في اتجاه الدعوة اليمانية انتهى باعلانها ديانة خاصة باسم (دين السلام والنور الاحمدي). يكشف كتاب عبد الله هاشم (غاية الحكيم) هذا التغيير فقد ادخلت على الدعوة اليمانية افكارا وعقائد غنوصية أو باطنية - منها ما هو ترميزي ومنها ما هو تأويلي- معروفة جدا في التراث الفكري للحركات الشيعية عبر تاريخها، أو من أديان اخرى خاصة المسيحية، لتأخذ الدعوة - كما تريد لها جماعة عبد الله هاشم- طابعا عالميا يلائم الدور الكوني لعقيدة المنقذ العالمي كما رسخت في الذهن الاسلامي، والشيعي على وجه خاص.

ثانيا: نتائج اختبار تفهم الموضوع **TAT**

يشير لويس مليكة (١٩٨٠، ج١، ٤٣٤) الى ان اختبار تفهم الموضوع يمتلك عدد من الطرق التي تفسر نتائجه وذلك طبقا للخلفية النظرية التي يتم اعتمادها، أو طبقا للهدف المراد من التطبيق، أو طبقا للوقت المتاح. لكن الباحث فضل طريقة موراي وذلك لأنها تناسب موضوع البحث، فهي طريقة تمتاز بالتفسير الكلي Molar رابطة النتائج مع بعضها البعض (أولا)، ومع النسق النفسي العام للشخصية (ثانيا). إذ حرصت أدوات البحث الأخرى من ملاحظة ومقابلة على تصور نسق الشخصية. وقد اكد محمد عبد الظاهر الطيب (١٩٨٦) على ان الاختبارات الاسقاطية تركز على النظرة الكلية التي تشمل الشخص، لتكون هذه الوحدة منطلقا تفسيريا لما يتصف به من خصائص نفسية وبنى الشخصية وديناميتها.

قام الباحث بعرض اللوحات على ثلاثة من المحكمين المتخصصين لترشيح اللوحات المناسبة للحالة من اجل اختبارها، فجاء الاتفاق على اللوحات الآتية والبالغة عشر لوحات:

1, 8BM, 11, 12M, 15, 19 , 13B, 16, 12BG, 17BM

البطاقة ١

تحكي قصة طفل حزين كسروا له آلته الموسيقية وهو متعود عليها والآن هو يعاني من الضجر، واضح انه لم يؤذي احدا لأنه يحب الموسيقى ولكن هناك من آذاه وكسر له آلته الموسيقية. فرش لها قطعة قماش كأنها جنازة، كأن واحد ميت له ميت وهو يودعه.

التفسير

هذا النوع من الاستجابة يدل على تفاعل المفحوص مع بطل اللوحة وهو الطفل، بل وتوحده معه، فقد تفجر جانبه الانفعالي والعاطفي، كاشفا عن الخبرات المؤلمة والاحساس بالاضطهاد من قبل الآخرين، وان الآخرين صدموا الأنا لديه واصابوا نرجسيته. لهذا هو يستسلم للموت بعد تصاعد مشاعر القلق والخوف والاضطهاد لديه. وهي مشاعر ربما سببتها له ليس سنوات الطفولة لوحدها، بل - وايضا- المشاكل الاجتماعية والأمنية التي حلت عليه بسبب انتمائه لجماعة تخالف كثيرا عقائد المجتمع الذي ينتمي اليه، وتسببت له بمطاردة امنية استمرت أكثر من سنة، بحسب ما افاد اثناء المقابلة. والقاء اللوم على (الآخرين) واسقاط جانبه المعتم والغرائزي عليهم، وجعل صورته بريئة تحتاج الى العطف والشفقة يدل على عدم نضج الأنا.

البطاقة **8BM**

يبدو ان الطفل كبر وصار دكتور "انظر الى البدلة والرباط يدل انه في أول كلية تقريبا أو انه فشل ان يكون طبيبا وهو واقف وفي الخلف هو حلمه ان يكون طبيبا ناجحا يجري العمليات. ولكن هذه البندقية دوختني، ماذا تفعل هنا؟"

التفسير

ان عدم رؤيته للبندقية في البداية ثم وكأنه اكتشفها فجأة هو سلوك يدل على التأثير القوي للوسائل الدفاعية عليه، فهي تدل على انفجار ذكرى مؤلمة لم تعد الذات قادرة على كبتها. البندقية قطعت الخط المستقيم الذي تصوره لحياته داخل الجماعة (المنصورة) و(المؤيدة من الله وتحت اشراف المهدي مباشرة). هذا القطع بدد له أمانه الطفولي وحاجته للأب الحامي.

وقد حظيت هذه البطاقة بتفاعل مهم من قبل المفحوص مثل سابقتها، فقد توحد مع البطل وجعله معبرا عن صراعاته ومخاوفه وحاجاته المكبوتة وغير المكبوتة، وشعوره بالفشل في ان يكون مهما كما تصور ذلك وكما وعدته به الحركة من انتصارات وان يشهد المعجزات والفوز الذي وعدهم به قياداتهم على افتراض انه امتداد لصورة المهدي الذي يتمتع في الذاكرة الشيعية بقوى كونية خارقة وقدرة على اجتراح المعجزات وهزيمة اعدائه.

البطاقة١١

الظاهر ان هناك انهيارا حصل في الجبل واغلق الطريق، هناك شيء كبير حدث هنا. مكان بعيد، هذه حشرة. لا اعرف ماذا اقول لك، ولكن المشكلة ان اللوحة غامضة وهذا يثير الخوف أو كما قلت لك ان الله عاقبهم على ما اقترفوه.

التفسير

ركز المفحوص على موضوع الانهيار وبسبب هذا التركيز اهمل بقية اللوحة، من خلال هذا الانهيار عكس مشاعر الخوف لديه والتي صرح بها مباشرة "تثير خوفي"، فهو يكشف بصراحة انه خائف. على الرغم من قلة الجمل التي وصف بها اللوحة إلا انها استطاعت ان تحفز لديه شيئا من مكبوتاته المؤلمة وجعلته يتداعى بشكل حر. ربما هذه المخاوف ذات اصول تعود لغريزة الموت التي تعبر عن رغبة أو حافز نحو تدمير الذات والعدوان، وتكون مسؤولة عن إيذاء النفس والآخرين وعن الانتحار. كذلك تظهر القصة حاجة المفحوص للشعور بالأمان والتخلص من مشاعر الخوف.

البطاقة M١٢

شاب ميت ربما الوحيد لأهله وقد مات، هذا ابوه يغمض له عينه بعد فترة مرض طويلة، يموت احسن له. "هل تريد ان تعرف كيف عرفت ان هذا ابيه وليس طبيب؟ لأنه يضع قدمه على السرير، الاطباء لا يفعلون ذلك".

التفسير

هيمنة الموت على القصص يبلغ هنا ذروته، فهو يكرر الكلمة مرتين خلال وصف موجز لقصة اللوحة، المفحوص خاضع لما اسماه فرويد (الإكراه على التكرار) للتعبير عن قوة غريزة الموت والتدمير لديه Thanatos. ربما جاء هذا الاستسلام للموت وعودة الذات الى تكرار التجارب المؤلمة بسبب عدم قدرتها على تحمل الصعوبات المتأصلة في الحياة وكثرة المشاكل التي واجهتها، وكذلك كنوع من عقاب الذات من قبل الأنا الأعلى، لأن تلك الذات فشلت في تحقيق ما تريده.

البطاقة ١٥

والله لا اخفيك الصورة مخيفة، هناك شيء يتعلق بالموت اما هذا دفان أو هو ملك الموت. هل تعلم انني لم اك اخاف الموت، ولكن في مرة من المرات ضايق الأمن علينا واعتقل جماعتنا وتعرضوا للضرب هناك، لا اخفيك اصبحت افكر بالموت، لأن كثير من جماعتنا قتلوا.

التفسير

واضح جدا هيمنة الموت فكرة وشعور، وما يرافقه من مشاعر خوف وتوتر واكتئاب. غريزة الموت التي لا تستثني لا الذات ولا العالم، تعكس حجم الصدمة التي تعرض لها. ان صورته عن ذاته تحمل قدرا من السيكوباثية التي ترتد من الاخرين الى الذات، وبالعكس. لهذا، فالاستجابة تكشف عن الخوف الشديد من الأذى الموضوعي (الاعتقال، المطاردة، القتل...الخ) وغير الموضوعي المتمثل في الفوبيا والمخاوف التدميرية.

البطاقة١٩

بيت بعيد يخلصك من ثرثرة وتدخل الناس، من اجل ان ترتاح هناك. اعرف ان شكله مخيف قليلا وتحوم فوقه دخان كأنها اشباح. (بعد تشجيعه من قبل الباحث على ان يكمل صمت وبدا ساهما).

التفسير

يهيمن الصراع على هذه القصة، بين الاحساس بالأمان الذي يفتقده ويرغب فيه، وبين فقدانه. الصراع بين البيت مصدر راحة. بين حاجاته وتحقيقها. فهو يعكس فشل في حل الصراع، لهذا ينكص الى رحم الأم، ويرفض مواجهة العالم الخارجي أو مبدأ الواقع. كل ذلك يؤشر الى تثبيت طفلي، وعدم القدرة على مواجهة الواقع وضعف الأنا لديه. تأخر بالاجابة، ثم تخلل الجمل فواصل.

البطاقة١٣**B**

ارجعتنا الى الطفولة والله، بيت خشبي، والطفل حافي في الباب، كأنه ينتظر احدا، مستحيل ان يتركوه كلهم ويذهبوا، هو ينتظر أبوه، لهذا القلق واضح عليه. ربما ينتظر من مدة، الله اعلم.

التفسير

رغم انه اختصر الاجابة وتصوير قصة عن هذه اللوحة إلا انه توحد سريعا مع البطل واسقط عليه جزء مهم من مشاعره ومخاوفه وحاجاته النفسية، وكشف عن تأثير مرحلة الطفولة عليه وعدم تخلصه من آثارها، والنكوص اليها وقت الأزمات. فالخوف الذي هيمن على اجاباته الاخرى هو امتداد لمخاوف قديمة مكبوتة منذ الطفولة ذات طبيعة جنسية تتعلق بالأب والخوف من الخصاء. لكنها في الوقت الحالي فقدت طبيعتها الجنسية تلك، لتحل محلها مخاوف ذات طبيعة عدوانية تدميرية.

البطاقة١٢**BG**

هذه اللوحة كأنها في غابة بعيدة و....(صمت). المهم هذا قارب لواحد ذهب لبيته أو بيت اقاربه في الغابة، ربما جاء هاربا أو جلب لهم شيئا، وربما هي طبيعة حياته هكذا، فالأجانب يعيشون في الغابات، ليسوا مثلنا. والله يبدو انها غابة كبيرة، انظر الاشجار متلاصقة، كثيفة. انظر هذه الشجرة التي اختارها ليركن القارب اليها، شجرة كبيرة. امتازت الإجابة عن هذه اللوحة بالبطء في المنتصف وفي النهاية. وهذا ميز اجابته عن بعض اللوحات. هذه الميزة مع ميزات اخرى تكررت مثل الخوف ومشاعر الذنب والحط من مكانة الذات، كلها تؤشر الى احتمال اصابته بنوع من الكآبة أو اضطراب القلق.

التفسير

لقد افترض ان تكون الغابة بعيدة تعبيرا عن حاجته لتجنب الأذى بالهروب والانسحاب، وافترض انه اختار "شجرة كبيرة" لتحميه حينما يكون هاربا وحينما يكون منهكا فاقدا للأمان. الشجرة رمز امومي في اغلب الحضارات والثقافات المشرقية. كذلك يحاول ان يسقط رغباته على هذا النموذج او الرمز الأنثوي. وايضا تشير القصة الى غلبة المخاوف من المجهول عليه. وهي مثل قصصه السابقة ترسم صورة طفلية للذات مع تثبيت على صورة الأم، وكل هذا جاء بسبب شدة الصراع بين حاجات المبحوث وبيئته.

البطاقة١٧**BM**

هذا واحد شكله سينهي حياته معلقا، لا هو من اهل الأرض، ولا هو من أهل السماء، انظر الى قوة جسمه التي تدل انه افنى عمره في هذه المهنة الخطيرة.

التفسير

تعكس القصة استمرارية الصراع بين المفحوص وحاجاته ضد بيئة يعتبرها معادية له ولحاجاته، لهذا فهو افترض ان بطل القصة انهى عمرا طويلا في حالة التعلق بين الأرض وهي رمز الخصوبة والانوثة وفي التحليل الفرويدي تشير الى الهو وما يحمله من غرائز، وبين السماء رمز التعالي والعقل، والتي تشير في التحليل النفسي الفرويدي الى الأنا الأعلى، والذي يمثل القيم المجتمعية والاخلاقية.

البطاقة١٦

لا يوجد شيء، انها فارغة، هل هذا مقصود؟ (توقف عن الاجابة، وبعد الطلب منه ان يملأها بما يريد من قصص تدور في ذهنه، اكمل القصة) لو تريدني انا ان أأولف قصة من عندي فسأخبرك أننا نعيش عصر الظهور، ورغم ما تسمونه انتم هزيمتنا أو ان الامام احمد لا يملك قدرات إلهية من الله طبعا، إلا اننا سوف ننتصر اليوم او بعده او بعده. (تدخل الباحث واخبره بضرورة ان يكون شرحه ضمن قصة مثلها مثل سابقاتها، رسم هو يقترح ان يضعه على هذه اللوحة البيضاء). سأرسم صورة الظلم الأذى تعرضنا له، صورة الامام وهو في الكوفة، سينتقم من العمائم الخائنة للدين، تعرف ان المهدي أول من سيذبح هم المعممين حينما يخرج.

التفسير

يبدو للوهلة الأولى انه ابتعد عن الهدف الذي وضع الاختبار لأجله، وهو كشف مكنوناته النفسية وحاجاته ودوافعه وصراعاته، ولكن قصته تخبر وبصراحة وبوعي عن أزمة نفسية حادة تسبب له الضغوط والخوف والتوتر والقلق. يعترف ان مشكلته بلا حل، لهذا يلجأ الى مرويات وقصص من التراث الديني لو قارناها بالواقع وعصرنا الحالي ستبدو غير واقعية. بالإضافة الى بروز نزعته التدميرية وإن غلفها بغلاف ديني.

ثالثا: تفسير النتائج

أولا: من الناحية الشكلية

١: اختصار في القصص.

٢: ابدى درجة جيدة من التعاون.

٣: ابدى ادراكا جيدا للقصص.

٤: اظهرت القصص ترابطا منطقيا.

٥: اظهرت القصص درجة مقبولة من الواقعية.

ثانيا: من ناحية المضمون

أ: وضع موراي عدة نقاط يجب الانتباه لها كمؤشرات اثناء التحليل النهائي لنتائج الاختبار أو ما يسمى احيانا تصحيح الاختبار يمكن الاستفادة منها في التعرف على حالة المفحوص في هذا البحث، وهي:

١: البطل الرئيسي: لقد تقمص المفحوص شخصية البطل، رغم انه حاول الانسحاب منها احيانا. واظهر عدد من الخصائص، منها العزلة- الضعف- التدمير.

٢: أهم حاجات البطل: اظهرت القصص ان البطل/ المفحوص تحركه دوافع، منها الأمان، تجنب الأذى، العدوان الموجه للذات والآخرين، الاستنجاد والاعتماد، الشفقة على الذات.

٣: الضغوط البيئية: تعرض بطل القصة/ المفحوص الى ضغوط كبيرة منها ضغوط اجتماعية، واعتداء، والنبذ، والحرمان، والاخطار المادية (الأمنية خاصة).

٤: نهاية القصة: لم يستطع البطل/ المفحوص تقديم حل واقعي للصراع بين حاجاته وبين البيئة المحيطة، بل انسحب وتوحد ونكص نحو الطفولة، هربا من مواجهة الاحداث التي واجهته. لهذا كان دائم الشعور بالذنب والخوف والقلق.

ب: اما اذا نظرنا لاستجابات المفحوص من وجهة نظر التحليل النفسي فإننا سنكتشف عدد من الملاحظات التي تخص الحالة، ومنها:

١: افراط في استخدام الدفاعات النفسية، الذي يمكن ان يكون مؤشر مرضي لصعوبات التكيف التي تتسبب باضطرابات نفسية مختلفة. وقد اشارت عدد من الدراسات كدراسة روكيتش وكراون وسجال الى أن التعصب والتسلط شكلان من أشكال العصاب (الداغستاني، ٢٠١٧: ٢٣٠).

٢: هيمنة حياته الحاضرة وما مر به من ظروف صعبة على استجاباته خاصة ما يشعر به من احباط، مع ملاحظة ان هذا لا يعني انقطاع تأثير الماضي أو سنوات الطفولة، فهي السياق الذي تتفاعل فيه الظروف الحالية.

٣: تشوه صورة الذات طغت على القصص.

٤: هيمنة التفكير الكوارثي او الاحساس بالنهاية دائما، والذي ربما يكون مصدره ايمانه بعقيدة (آخر الزمان) و(علامات الساعة).

٥: التكرار، فقد حاول تكرار ما مر به من خبرات سيئة. لقد لاحظ فرويد ان الجنود العائدين من الحرب ونتيجة اصابتهم بالصدمات النفسية يكررون التجربة والشعور بالألم.

٤: ضعف الأنا كان حاضرا في اغلب القصص.

٥: نزعة تدمير واضحة استهدفت الذات والآخرين.

المراجع

الموقع الرسمي للحركة almahdyyoon.com.

منتديات الدعوة المهدوية، والمكتبة اليمانية المقروءة، والبيانات الرسمية للدعوة اليمانية، والمكتبة الصوتية.

، كذلك كتاب: جامع الادلة، للدكتور ابو محمد الانصاري وهو من انصار الحركة

بالانديه، جورج (٢٠٠٧). الانثروبولوجيا السياسية. ترجمة علي المصري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

تيلي، تشارلز، وليزلي وود (٢٠٠٥). الحركات الاجتماعية. ترجمة ربيع وهبة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

حسن، محمد خليفة (١٩٩٦). التفكير الألفي وتأثيره على العملية السلمية. بحث منشور في مجلة رسالة المشرق (٩- ٤١)، مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة.

حسن، محمود شمال (٢٠٢٤). الآثار النفسية الناجمة عن التطرف الديني والمذهبي. بحث منشور في مجلة نقد وتنوير، العدد ٢٠، (١١٧- ١٤٢)، غرناطة- اسبانيا.

الداغستاني، سناء (٢٠١٧). علم النفس الاجتماعي- نظريات ودراسات. دار الرافدين. بغداد.

رانك، أوتو (٢٠٢٤). أسطورة ولادة البطل- استكشاف سيكولوجي للأسطورة. ترجمة ابراهيم قيس جركس ويارا منصور، الدار الليبرالية، السويد.

الداغستاني، سناء عيسى (٢٠١٧). علم النفس الاجتماعي- نظريات ودراسات. دار الرافدين، بيروت.

الشيبي، كامل مصطفى (٢٠١١). الصلة بين التصوف والتشيع. دار الجمل، كولونيا- بيروت.

الصحاف، احمد (٢٠١٩). سيسيولوجيا المنقذ: أيديولوجيا الغيبة ويوتوبيا الظهور. جامعة الكوفة، طبع في بيروت، توزيع دار الرافدين.

الطيب، محمد عبد الظاهر (١٩٨٦). مبادئ الصحة النفسية. مكتبة الانجلو المصرية.

ميلور، فيليب وكريس شلنج (٢٠١٦). سيسيولوجيا المقدس: الدين والتجسيد والتغير الاجتماعي. ترجمة احمد زايد، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

عبيد، عقيل حبيب (٢٠٢١). التطرف الديني العنيف وعلاقته بأنماط التنشئة الوالدية ورؤية العالم الأخروية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، القاهرة.

عبد الله، هشام (٢٠٢١). الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجة للأمن النفسي لدى عينة من العاملين وغير العاملين. منشور في مجلة الارشاد النفسي، مصر، س٤، ع٥.

مخيمر، صلاح (٢٠٠٢). تناول جديد في تصنيف الاعصبة والعلاجات النفسية. مكتبة الانجلو المصرية.

مليكه، كامل لويس (١٩٨٠). علم النفس الاكلينيكي- التشخيص والتنبؤ في الطريقة الاكلينيكية. جزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.